

سوق القرية لـ عبد الوهاب البياتي د.حنان علي المرحلة الثانية الأدب

مَنْ هو عبد الوهاب البياتي ؟

- عبد الوهاب البياتي نشأته وتعليمه

ولد الشاعر عبد الوهاب البياتي في عام ١٩٢٦ في العراق، وكانت البيئة التي ولد فيها بيئة شعبية وفقيرة، وفي عام ١٩٤٤ التحق في كلية دار المعلمين في بغداد، وتخرج منها عام ١٩٥٠ بشهادة البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها، ثم عمل أستاذًا في جامعة موسكو من عام ١٩٥٩ إلى عام ١٩٦٤، وفيما بعد عمل في السلك الدبلوماسي وآخر منصب أشغله في هذا المجال هو ملحق ثقافي في السفارة الإسبانية.

- الحياة الشعرية لعبد الوهاب البياتي

بالرغم من إسهامه في تأسيس الشعر الحديث، إلا أنه بقي مهتمًا بالشعر القديم، وقد بدأ البياتي ما بين عامي ١٩٥٠ إلى ١٩٥٣ بنشر قصائده في مجلة الثقافة القاهرية، ومجلة الآداب اللبنانية، ثم توالى أبرز أعماله الشعرية بدءًا من ديوان "أشعار في المنفى" عام ١٩٥٤، والذي ترجم إلى الروسية والصينية، وأنهى مسيرته الشعرية بديوان "البحر بعيد أسمعته يتنهد" في عام ١٩٩٨.

وقد كتب الشاعر عبد الوهاب البياتي العديد من القصائد المهداة إلى عدد من الشعراء، ومنها؛ قداس جنازتي إلى نيويورك، والقربان، والتي كانت مُهداة إلى بابلو نيرودا، وقصائد حب على بوابات العالم السبع، والموت في البوسفور، والتي كانت مُهداة إلى الشاعر التركي ناظم حكمت.

- الأعمال الشعرية لعبد الوهاب البياتي

كتب الشاعر عبد الوهاب البياتي مجموعة من الأعمال الشعرية، ومنها ما يأتي:

ديوان ملائكة وشياطين في عام ١٩٥٠.

أباريق مهشمة في عام ١٩٥٤.

المجد للأطفال والزيتون في عام ١٩٥٦.

رسالة إلى ناظم حكمت في عام ١٩٥٦.

أشعار في المنفى في عام ١٩٥٧.

عشرون قصيدة من برلين في عام ١٩٥٩.

كلمات لا تموت في عام ١٩٦٠.

طريق الحرية، وقد كُتبت باللغة الروسية وتم إصدارها في عام ١٩٦٢.

سفر الفقر والثورة في عام ١٩٦٦.

النار والكلمات في عام ١٩٦٤.
الذي يأتي ولا يأتي في عام ١٩٦٦.
الموت في الحياة في عام ١٩٦٨.
تجربتي الشعرية في عام ١٩٦٨.
عيون الكلاب الميتة في عام ١٩٦٩.
الكتابة على الطين في عام ١٩٧٠.
يوميات سياسي محترف في عام ١٩٧٠.
بكائية إلى شمس حزيران والمرتزة في عام ١٩٦٩.
سيرة ذاتية لسارق النار في عام ١٩٦٤.
قصائد حب على بوابات العالم السبع في عام ١٩٧١.
كتاب البحر في عام ١٩٧٥. قمر سيراز في عام ١٩٧٥.
صوت السنوات الضوئية في عام ١٩٧٩.
بستان عائشة في عام ١٩٨٩.
الحريق في عام ١٩٩٦.
كتاب المراثي في عام ١٩٩٥.
خمسون قصيدة حب في عام ١٩٩٧.
ينابيع الشمس، وقد كانت سيرة شعرية وتم إصدارها في عام ١٩٩٩.
البحر يبعد أسمعه ينتهد في عام ١٩٩٨.

قال الشاعر :

الشمس، والحرر الهزيلة، والذباب

وحذاء جندي قديم

يتداول الأيدي، وفلاح يُحَقِّق في الفراغ:

"في مطلع العام الجديد

يдай تمتلئان حتماً بالنقود

وسأشتري هذا الحذاء"

إنَّ المتأمل لهذا المقطع الشعري يجد أنَّ الشاعر يتحدث عن مأساة اجتماعية وهي الفقر، فالشمس هي مصدر إزعاج لأنَّه لا يوجد وسيلة لاتقاء حرَّها، والحُمُر هزيلة بسبب الجوع والفقر وقلة العلف والطعام والكلاء، فالمجتمع الذي يصفه لنا الشاعر فقير لا يستطيع حتى إطعام الحيوانات. فهذه القرية جذباء قاحلة لا خير فيها ينبت ولا طعام، إذ لا يوجد حتى حشائش في الأرض لتأكل منها هذه الحُمُر، ونجد أنَّ الشاعر يستحضر الذباب، الذي يُمثل دلالة الوباء

والمرض، فهذا مجتمع فقير لم يسلم فيه البشر والحيوانات، ونجد أنّ الشاعر يُعمّق مفهوم الفقر، بإشارته للحذاء القديم المعروض، وهذا الحذاء هو الوحيد الموجود، والكل يُريده لكن لا أحد نراه يدفع ثمنه، فقط يتم تمريره من يد إلى يد دون أن يُباع، مع وجود رغبة الشراء من الجميع، لكن لا أحد يدفع، فالفقر شديد في هذا المجتمع لدرجة عجز كل أفرادهِ عن شراء حذاء قديم. ونجد أنّ الشاعر يستحضر صوتاً، ويستنطق شخصية مجهولة من شخصيات هذا المجتمع، فيقول على لسانه أنّه سيشتري هذا الحذاء في العام الجديد، وهذا الأمر يدلّنا على أمرين، الأول أنّ الفقر قد ساد في هذه القرية، والأمر الثاني أنّ هذا الفقر سيستمر حتى في العام الجديد، لأنّ هذه الشخصية لن يكون معها مال كافٍ لشراء حذاء جديد

وصياحُ ديكٍ فرّ من قفصٍ، وقديس صغير:

"ما حكّ جلدك مثل ظفرك"

و "الطريق إلى الجحيم

من جنة الفردوس أقرب" والذباب

والحاصدون المتعبون:

"زرعوا، ولم نأكل

ونزرعُ، صاغرِين، فيأكلون"

والعائدون من المدينة: يا لها وحشاً ضريز

صرعاه موتانا، وأجسادُ النساء

في هذا المقطع يصف الشاعر حال هذه السوق وأهلها، فيذكر في البداية وجود ديك هارب من قفصه وهو يصيح، فالشاعر يستحضر ديكاً والديك مذكر فلا خصب في هذه القرية، ونرى أنّه يستحضر رجل دين يافع يعطي مواعظ تحتّ على عدم التعاون وضرورة الانفراد بالذات، فمجتمع هذه القرية مجتمع فاسد، لا يوجد فيه صلاح، ولا خير، ولا حب الإيثار. ونجد أنّ الشاعر يُشير إلى أنّ مآل هذه القرية الجحيم، وأنّ الطريق إلى الجحيم يمرّ بالجنة، فلعلّ ذلك يدلّنا إلى أنّ مجتمع القرية يُعاني معاناةً تؤدي به إلى الجنة، لكنّه مجتمع فاسد في النهاية ولا يستحقّها، وسيذهب إلى الجحيم بعد معاناة تؤوله من دخول الجنة. ونجد أنّ الشاعر يُلمّح إلى حضور الصراع الطبقي في هذه القرية، وتسلّط الطبقة البرجوازية على الفلاحين، فنراه يُشير إلى أنّهم يزرعون مرغمين، وغيرهم يأكل وهم لا يأكلون، فالبرجوازية أخذت كل ما لديهم، وتركتهم جوعاً. ونرى أنّ الشاعر يصف لنا ما حدث لأهل هذه القرية عندما حاولوا الفرار إلى المدينة، فنراهم يعودون خائفين خاسرين، واصفين إياها بأنّها وحش وضريز، فهذا زيادة في درجة العنف التي

عانوا منها، بالإضافة إلى أنّ هذا الوحش كان يتغذى عليهم، وعلى أجساد النساء، فالمدينة
استعبدتهم، وحولت النساء إلى بغايا
و"الحالمون الطيبون"

وخوار أبقار، وبائعة الأساور والعطور
كالخنفساء تدب: "قبرتي العزيزة" يا سدوم!
لن يصلح العطار ما قد أفسد الدهر الغشوم
وبنادق سودّ ومحراث، وناز
تخبو، وحداد يرأود جفنه الدامي النعاس:
"أبدأ، على أشكالها تقع الطيور
والبحر لا يقوى على غسل الخطايا، والدموع"

في هذا المقطع نجد حضوراً للسوداوية في وصف هذه القرية والمجتمع الذي يعيش فيها، فيصف
الشاعر بائعة الأساور بالعجوز المقوسة الظهر، ليبشع وصف هذه السوق ومن فيها، ونرى هذه
العجوز تصف هذه القرية بأنها مثل قرية لوط، فسدوم قرية من قرى قوم لوط التي انتشرت فيها
الفاحشة، وهذه القرية تشبهها تماماً، وقد حلّ عليها العذاب. ونجد أنّ الشاعر يستدعي لنا من
التراث الشعري بيتاً بعد أن تصرف به، ليؤكد فيه أنّ هذه القرية غير قابلة للصالح، فهي قرية
فاسدة ومجتمعها فاسد، والأدوات التي فيها هي البنادق التي تحكم أبناء هذه القرية وتُجبرهم على
العمل وأخذ ما عندهم، وهم ساكتون لا حراك لهم، ولا مقاومة، فهم استحقوا هذا العذاب لخنوعهم.
ونلاحظ أنّ هذه البنادق سوداء ليتعمق مدلول الموت، بالإضافة إلى المحراث الذي هو رمز العمل
الشاقّ، ونرى أنّ هذا العمل يمتد إلى الحداد الذي أصبح جفنه دامياً من النعاس، فكان الشاعر
يُريد أن يُخبرنا أنّ الحداد يصنع القيود لهذه القرية، لكن لا طريق للصالح فيها، بعد أن أصبح
البحر عاجزاً عن غسل خطاياها.

والشمس في كبد السماء

وبائعات الكرم يجمعن السلال:

"عينا حبيبي كوكبان

وصدره ورد الربيع"

والسوق يقفر، والحوانيت الصغيرة والذباب

يصطاده الأطفال، والأفق البعيد

وتثاوب الأكوخ في غاب النخيل

في هذا المقطع نجد أنّ حدة السوداوية تقل فيه، وذلك عندما يذكر الشاعر جيل الشباب،
فالشاعر يتأمل بالجيل القادم من أطفال وفتيات، فنراه يرسم لوحة أقل حدة، ويحكي فيها عن

الآمال التي تعقدها الفتيات وهن يجمعن الثمر في الكرم، عن وجود حبيب لهن سيأتي ويخلصهن مما هن فيه. يُنهي الشاعر قصيدته بالعودة إلى وصف هذا السوق، فكأن الشاعر يريد أن يحكي لنا أنّ هذا السوق مكان الفساد في القرية، فهي سوق تنتشر فيه الخطايا، فالشاعر دائماً ما يجعل الذباب حاضراً في هذه السوق، فهي سبب الأمراض الاجتماعية التي سببت دمار أهل القرية.

المراضع لـ طه حسين

د.حنان علي المرحلة الثانية الأدب

من هو طه حسين ؟

كاتب، ومفكر، وشاعر مصري، من أبرز أعلام الحركة العربية الأدبية في القرن العشرين، لُقّب بعميد الأدب العربي، وكان من أوائل الحاصلين على شهادة الدكتوراه في الأدب العربي، وقد كتب العديد من المؤلفات والروايات، ومن أشهر كتاباته الإبداعية كتاب الأيام الذي تناول فيه سيرته الذاتية، وقد ترجم هذا الكتاب إلى الإنجليزية ونُشر عام ١٩٩٧م.

حياة طه حسين

وُلد طه حسين في قرية من قرى صعيد مصر، وكان ذلك في يوم الجمعة في الخامس عشر من شهر تشرين الثاني عام ١٨٨٩م. فقد بصره وهو طفل صغير على إثر إصابته بالرمد، وعلى الرغم من ذلك تميّز بالذكاء الحادّ وقوة الذاكرة، وبدأ حياته العلمية بالتحاقه في كتّاب قريته، فحفظ القرآن الكريم، ثم التحق بالأزهر ليتّم تعليمه، وفي عام ١٩٠٨م انتسب إلى الجامعة المصرية، وحصل منها على شهادة الدكتوراه عام ١٩١٤م، وكانت رسالته بعنوان (نكرى أبي العلاء)، ثم أرسلته الجامعة المصرية ببعثة إلى فرنسا، ومن هناك حصل على شهادة الدكتوراه الثانية، وكانت رسالته بعنوان (الفلسفة الاجتماعية عند ابن خلدون)، كما وحصل على دبلوم الدراسات العليا في القانون الروماني، وأثناء تواجده في فرنسا تزوّج من السيدة الفرنسية (سوزان بريسو) أمّ أولاده (أمينة، ومؤنس)، وقد كان لهذه السيدة أثر كبير في حياته، إذ كانت سنداً وعوناً له أثناء مسيرته العلمية والأدبية.

عاد طه حسين من فرنسا ليبدأ حياته العملية، إذ عُيّن أستاذاً للتاريخ الروماني واليوناني في الجامعة المصرية، ثم عُيّن أستاذاً في تاريخ الأدب العربي بكلية الآداب، ثم أصبح عميداً لهذه الكلية، وفي عام ١٩٤٢م عُيّن مستشاراً لوزير المعارف، ثم مديراً لجامعة الإسكندرية، وفي عام ١٩٥٠م عُيّن وزيراً للمعارف، وفي أثناء عمله كوزير جعل التعليم إلزامياً ومجانياً، كما وأسّس عدداً من الجامعات المصرية، وفي عام ١٩٥٩ عاد للعمل في الجامعة بوظيفة أستاذ غير

متفرغ، ورئيساً لتحرير صحيفة الجمهورية، وقد وافته المنية يوم الأحد في الثامن والعشرين من شهر تشرين الأول عام ١٩٧٣م.

أسلوب طه حسين

يعرّف الأسلوب الأدبي بأنه طريقة الكاتب الخاصة في اختيار المفردات وصياغة العبارات، تعبيراً عن المعاني لأغراض التأثير والإقناع، مع إبراز لشخصيته، وقد امتاز أسلوب طه حسين بخصائص تميّزه عن سواه، ولا يشترك معه أحداً غيره.

التركيب الموسيقية يتميز أسلوب طه حسين بوقع موسيقي أخذ يجذب الأذن إلى سماعها، مع تنوع في التيار الصوتي بشكل يتلاءم مع ما يقصده من معنى، مع مراعاة البعد عن الرتابة في نغماته لكي لا يملّ المتلقّي، ولتحقيق مبتغاه استعان ببعض الأساليب، وهي كالآتي:

الإكثار من استخدام المحسنات البديعية التي يقصد بها الدلالة على المعنى، وليس التحسين اللفظي أو المعنوي، ومن الأمثلة على ذلك قوله (وقع في نفسه أول الأمر موقع الغربة الغربية)، وقوله (فراغ فارغ كثيف). استخدام أسلوب التتابع، وترديد النغمة للابتعاد عن الرتابة، كقوله:

(ينفق فيها الساعات خلوة حرّة، يقول فيها ما يشاء، ويسمع ما يشاء الشيخ أن يقول، وما أكثر ما كان الشيخ يقول)، فضلاً عن استخدام أسلوب التنوع في الكلمات مثل: (كلّهم قد عرفه، وكلّهم قد آثره بالحب، والرفق، والعطف، وكلّهم قد أدناه من نفسه، ودعاه إلى أن يزوره في فندقه).

الاستعانة بأسلوب الترادف، وذلك في قوله: (استيقنوا أنّ الثراء، والسعة، وخفض العيش أشياء تعوق عن طلب العلم، وأنّ الفقر شرط للجّد، والكد، والاجتهاد، والتحصيل، وأنّ غنى القلوب، والنفوس بالعلم خير وأجدى من امتلاء الجيوب والأيدي بالمال). استخدام التضادّ في الكلمات، والتقابل في الجمل للدلالة على المعنى، كقوله: (فكان حاضراً كالغائب، ويقطاً كالنائم، ولم ينتظر أن تصلّى العصر). الأسلوب التركيبي أدى الأسلوب التركيبي الذي امتاز به طه حسين في

صياغة الجمل إلى إيضاح المعنى، وجعله محكماً ومنطقياً، ما يجعل قارئه يشعر بقوة شخصية الكاتب، وبمقدرته اللغوية الفذة، وقد اعتمد طه حسين في بعض كتاباته على البنية القرآنية ومن الأمثلة على ذلك قوله: (ويتجنّبها الفتى لأنّه لم يكن يعرف لغة أجنبية) وهنا يتّضح تأثره بالنصّ القرآني لقوله تعالى (وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى) وقوله: (ينأون بدروسهم وطلابهم عن الأزهر)، وهنا يتأثر بقوله تعالى: (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ)، أكثر طه حسين من استخدام صيغة الغياب، أو ما

يسمى بالمبني للمجهول، وقد فضّل هذه الصيغة على غيرها من الصيغ التي يمكن أن تحلّ محلّها من أفعال المطاوعة، لأنّ اللغة العربية قدرة فائقة على استخدام الفعل المبني للمجهول ضمن أساليب دقيقة مع تأدية وظيفة تعبيرية، ووظيفة فنية وجمالية، وهذا غير موجود في اللغات الأخرى، إذ إنّ صيغة المبني للمجهول في هذه اللغات يتّخذ شكلاً جامداً، فلا اختلاف في

تركيب الفعل سواء كان الفاعل معلوماً أم مجهولاً، كما أنّ اختيار طه حسين لهذه البنية يؤكّد استقلاليتها وذاتيته في اختيار أساليبه.

ويتمثّل دور طه حسين في أسلوبه هذا دور نائب الفاعل، أو المفعول الواقع عليه فعل الفاعل، أي أنّه لا يباشر الأحداث بذاته، فضمير الغائب لا يحقّق إلّا حضوراً ضمنياً للكاتب، والنصّ الآتي مثلاً على ذلك: (ولم ينسّ صاحبنا قطّ أنّه أُجلِس في مكانه من القطار حين بلغ روما وقد انتصف الليل، فلم يبرح مكانه ذاك إلى جانب النافذة إلّا حين بلغ القطار باريس بعد ثلاثين ساعة كاملة لم يتحرّك، وإنّما كان أشبه بمتاع قد ألقي في ذلك الموضع، وانتظر حتى يبلغ القطار غايته ليُنقل إلى موضع آخر) الاستعانة بالدخيل والعاميّ استعان طه حسين أيضاً بالمفردات الدخيلة مثل: (دهليز، تونة، سردين، خان) والتي جاءت في قوله: (ثمّ يبلغ الصبي بيته، فيدخل إلى غرفة هي أشبه بالدهليز، قد تجمّعت فيها المرافق المادّية للبيت)، وقوله: (فإذا أقبل المساء فقد كان الحاج فيروز يبيع لأهل الحي طعامهم من الجبن، والزيتون، والطحينة، والعسل، وربما باع للمترفين منهم علب التونة والسردين) كما أدخل طه حسين بعض المفردات العامية بأسلوب متناسق، بحيث لا يشعر القارئ بالغرابة، أو عدم التوازن، ومن الأمثلة على ذلك في كتاباته قوله: (إنّها قرقرة الشيشة يدخنها بعض تجار الحي ويهيئها صاحب القهوة)، وقوله: (كان أهل السعة منهم يذهبون إلى قهوة كوبري قصر النيل القريبة)، وقوله: (ويختلس المتعة القصيرة بين حين وحين، إن أتيح أن يخرج من حياته المألوفة إلى رياضه في الضواحي، أو تنزّه في الحدائق، أو جلسة في قهوة من القهوات)، فالكلمات (شيشة، قهوة، وقهوات، وكوبري) كلّها كلمات عامية. آراء وأفكار طه حسين اتسم أسلوب طه حسين بالوضوح والسلاسة، ودعا إلى المحافظة على ألفاظ اللّغة العربية الفصحى وقواعدها، ورُفِض الدعاوى الجديدة التي تتمثّل باستبدال الفصحى بالعامية، أو تلك التي تتادي بالغاء الإعراب وتسكين الكلمات؛ لأنّ هذا يؤدّي إلى إضعاف اللّغة.

كما رأى طه حسين أنّ النحو القديم معقّد، ويحتاج إلى تسهيل ليُظهر جمال اللّغة العربية، فاقترح فكرة (إحياء النحو) على إبراهيم مصطفى، وذلك بطريقتين، الأولى تكون بتبسيط العلماء للنحو وشرحه ليكون قريباً وواضحاً، والثانية تتمثّل ببعث القوة فيه للترغيب في دراسته ومناقشة كافة مواضيعه، فإحياء النحو وبثّ الروح فيه من جديد تعني إحياء الأدب العربيّ.

نادى طه حسين باتباع طريقة العلم الحديث في الفكر والحياة، وتخليص الأدب من الأمور البديهية المقررة الخاطئة، كما ودعا إلى حرية الفكر، واستخدام نوع جديد من النقد عُرف باسم منهج الشكّ الديكارتي للتحليل والتفسير، وهو منهج قائم على الشكّ، يرفض كلّ المسلّمات المسبقة، ويدعو إلى البحث في الأصول، وتبني رأي جديد قائم على المنطق والاستقراء.

أساتذة طه حسين يعدّ الشيخ (محمد جاد الرب) أول أستاذ تلقى طه حسين تعليمه على يديه،
وحين انتقل إلى الأزهر تتلمذ على أيدي عدد من الشيوخ والأساتذة أهمهم؛ (سيد المرصفي،
ومصطفى المراغي، ومحمد بخيت، ومحمد عبده)، أمّا في الجامعة المصرية فقد تتلمذ على أيدي؛
(أحمد زكي، وأحمد كمال باشا، والمستشرق جويدي، وكرنك نللينو)، وآخرون غيرهم كثيرون،
جوائز ومناصب طه حسين حصل طه حسين أثناء مسيرته الأدبية على عدد من الجوائز، ففي
عام ١٩٤٦م حصل على جائزة (الدولة في الآداب) وذلك عن كتابه (على هامش السيرة)، وفي
عام ١٩٥٨م حصل على جائزة (الدولة التقديرية في الآداب)، وفي عام ١٩٥٦م حصل على
ميدالية منظمة اليونسيف، وفي عام ١٩٦٥م حصل على قلادة النيل، وقبل وفاته بأيام في عام
١٩٧٣م تلقى جائزة حقوق الإنسان من منظمة الأمم المتحدة، كما حصل على عدد من الأوسمة
من عدد من الدول، هي: سوريا، وتونس، والسينغال، والنمسا، وفرنسا، إضافة إلى حصوله على
وسام من جامعة كلوستر بإيطاليا، وجامعة مونبلييه بفرنسا، وشهادة الدكتوراة الفخرية من جامعة
ليون، ومونبلييه، وأكسفورد، وباريس، وروما، وأثينا، والجزائر، ومديد. مؤلفات طه حسين معظم
مؤلفات طه حسين التي أغنى بها المكتبة العربية تهدف إلى التحرر والانفتاح الثقافي، مع
المحافظة على التراث الحضاري العربي والمصري العريق، وفيما يلي شرح عن أهم المؤلفات
التي تركها: الأيام: هو كتاب سيرة ذاتية، يتحدث فيه طه حسين عن مشوار حياته، وعن ذكرياته
منذ طفولته، مع التدرّج المرحلي لحياته، على نحو يتضمن دراسته في الأزهر والجامعة
المصرية، ثم دراسته في فرنسا ومعرفته للثقافة الغربية، كما ويحكي فيه كفاح شخص شاء له قدره
أن يفقد البصر، ولكنّه لم يفقد بصيرته، فحقّق ما لم يستطع العديد من المبصرين تحقيقه، ويُعدّ
كتاب الأيام مرآة تعكس أحوال المجتمع المصري في القرن العشرين. في الشعر الجاهلي: يُعدّ
أحد أشهر كتب القرن العشرين، حيث أثار هذا الكتاب ضجة كبيرة لا زال صداها حتى اليوم، فقد
عبّر فيه طه حسين عن آرائه في الأدب، ومن أشهر القضايا التي طرحها تكمن في عدم صحة
نسبة الأدب الجاهلي إلى عصره، وإنّما إلى عصر فجر الإسلام، حديث الأربعاء: أصل هذا
الكتاب مجموعة من المقالات الأدبية التي نشرت في صحيفتي السياسة والجهاد في كلّ أربعاء،
ثم جمّعت فيما بعد في كتاب يقع في ثلاثة أجزاء، وقد نشر الجزء الأول في عام ١٩٢٥م،
والجزء الثاني في عام ١٩٢٦م، والجزء الثالث في عام ١٩٤٥م، وتحدّث طه حسين في هذا
الكتاب عن تاريخ الأدب العربي من عصر الجاهلية وحتى العصر الحديث، وعن عدد من
شعراء العصور الثلاث، الجاهلي، والأموي، والعباسي، وتناول قصائدهم بالشرح، والتحليل،
والبيان، والنقد أيضاً. على هامش السيرة: هو كتاب تناول فيه طه حسين بأسلوبه الخاص ما
جاء في كتاب (السيرة النبوية) لابن هشام، وقد اعترف طه حسين أنّه لم يضيف لهذا الكتاب أي
جديد، وأنّ ما خطّه قلمه هو مجرد خواطر طرأت له أثناء قراءة هذا الكتاب الذي يُعدّ المصدر

الأول لحياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم منذ عصر الجاهلية وحتى وفاته. تجديد ذكرى أبي العلاء: قدّم طه حسين في هذا الكتاب التاريخي الأدبي دراسة شاملة لحياة، ونشأة أبي العلاء المعري، ومولده، وللعصر الذي عاش فيه، وتفاصيل بيئته وتأثير الأحداث والظروف التي سادت في ذلك العصر على حياته وأدبه، وآثاره الأدبية، معتمداً في ذلك على أسلوب الموضوعية والمنهج العلمي.

قادة الفكر: تناول طه حسين في هذا الكتاب كيفية تأثير الحضارة اليونانية القديمة في الفكر الأوروبي عبر مراحل تاريخية طويلة ومستمرة، واعتبر أنّ الحضارة اليونانية القديمة أساساً للحضارة الأوروبية الحديثة التي استفادت جميع البشر من إنجازاتها، وأنّ الشعر هو أول مظهر من مظاهر الحياة البدوية اليونانية، كما تحدّث عن أهمية الشعر بالنسبة للإنسان الذي يعبر فيه عن مشاعره وأحاسيسه، ثمّ انتقل إلى الحديث عن الفلسفة، وعن أهميتها في تشكيل العقل الإنساني. ما وراء النهر: هي رواية سردية، يقصّها طه حسين بطريقة تشاركية مع القارئ، ليزيد من تفاعله مع القصة التي تركها بدون نهاية؛ ليجتاز لها القارئ النهاية المناسبة، وفيها يصوّر أناساً ظالمين طباعهم سيئة، وقد هدف طه حسين من هذه الرواية الدعوة إلى الإصلاح، وبتّ روح التفاؤل والأمل برغم الظلم.

مختارات من النصوص النثرية

المراضع

(أقبل المراضع الى مكة عجافا نحافا تحملهن حمر عجاف نحاف ويصحبهن ازواجهن قد مسهم الضر وأعياهم الكسب واشتدت عليهم السنّة وأجدبت بهم الارض فما يجدون الى أمن ولا دعة ولا حياة سيلاً، وقد أقبلوا كدأب أهل البادية إلى مكة يلتمسون الرضعاء من أبناء السادة والمترفين في قريش ويتغون بذلك فضلا من مال، وناقلة من نعيم وحظاً من هذا البر الذي تطمع فيه المراضع عند أهل الرضعاء. فلما ألقوا رحلهم انحدر المراضع إلى مكة يعرضن أنفسهن على دور الأغنياء وأهل الثراء ومنازل السادة وأصحاب الشرف من أهل البطحاء. وأسرع أزواجهن إلى المسجد يطوفون ويلقون

سراة الناس من قريش، فيسمعون منهم، ويتحدثون إليهم ويستعينون بهم على احتمال أثقال الحياة في تلك البادية النائية بادية بني سعد بن بكر، وما هي إلا طوفة في الضحى على بعض المنازل والدور حتى آب المراضع موفورات محبورات قد وجدت كل واحدة منهن رضيعا من أسرة كريمة موسرة فامتلات يدها بالمال، ونفسها بالأمل وقلبها بالغبطة والأمن على قوت العيال إلا حليلة بنت أبي ذؤيب فإتتها عادت إلى زوجها كئيبة محزونة لا تحمل إلا ابنها الهزيل النحيل الذي يصيح في غير انقطاع، ويكي في غير هدوء لشدة ما مسه من ألم الظم والجوع).

طه حسين

على هامش السيرة ١٧٢/١

التعليق النقدي

يبدو طه حسين، شأنه في كل ما يكتب، متميز الأسلوب بشكل لا يخطئه قارئ صاحبه طويلا في كتاباته الأدبية والقصصية. ونظن أن النص الذي أمامنا يكشف بوضوح عن أسلوب الرجل.

والقطعة ليست أكثر من سرد لحدث بسيط. المرضعات اللواتي قدمن من البادية يطلبن أطفال الموسرين لإرضاعهم ابتغاء رزق يسير. ولكن انظر كيف عبر الكاتب عن ذلك.

لقد بدأ طه حسين حديثه بعبارة تلفت النظر بصياغتها ولفظها تذكرنا بآية قرآنية كريمة (وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف) يوسف آية ٤٣. قال طه حسين: (أقبل المراضع إلى مكة عجافا نحافا تحملهن حمر عجاف نحاف)، وكأنه يريد أن يعطي القارئ انطبعا سوف يبسطه بسطا شديدا في ما بعد. أريد بهذا حالة هؤلاء النسوة المرضعات البائسات وأزواجهن ودواهن. وقد كان يمكن أن يكفي الكاتب بالعبارة الأولى، ولكنه لم يفعل. فبدأ يفصل ويطنب. فهؤلاء الآتون قد مسهم الضر وأعياهم الكسب واشتدت عليهم السنة، وأجذبت بهم الأرض. هذه العبارات القصيرة المتلاحقة تزيد الصورة الأولى تفصيلا وتوضح لم كن عجافا نحافا، وليس من شك في أن الكاتب عمد إلى ذلك التفصيل عمدا، وقصد التوكيد والتوضيح وربما الأثير أيضا. وهذا دأب طه حسين في معظم ما يكتب، فهو لا يمضى إلى الفكرة مباشرة ومن أقصر

سبيل، وإنما يدور حولها ويمسها مسّاً دقيقاً خفيفاً وكأنه يشير ويومئ.

وهو بعد أن قدم وصفاً مفصلاً عن هؤلاء المرضعات عاد وقرر أن مجيئهن إلى مكة كان بقصد المال. وانظر كيف عبّر عن ذلك؟ (يبتغون فضلاً من مال ونافلة من نعيم، وحظاً من هذا البر) فتلاحظ التكرار والتفصيل. إذ لم يكتفِ بالجملة الأولى وإنما عطف عليها ثانية وثالثة.

وتستطيع أن تكتشف بنفسك أن الكاتب لم يهجر هذا الأسلوب في السرد وإنما اعتمده في النص كله. وفي غير هذا النص أيضاً لو أتاحت لك الفرصة كي تقرأه في غير هذا النص.

ثم أنت لا تجد في مفردات الكاتب وعورة ولا غموضاً. وليس في تراكيبه تعقيد. ولم يلجأ إلى صور البيان المعروفة. اللهم إلا من كناية هنا وسجعة هناك. ولولا أن الكاتب يلفت نظرك منذ الجملة بقوله: (أقبل المراضع). ولم يقل: أقبلت، فقد عامل المراضع على أنها جمع تكسير يجوز فيها تأنيث الفعل وتذكير. فاختار الثانية في غرابتها وندرته وقد كرر ذلك في آخر النص بقوله: (حتى آب المراضع موفورات...). أقول لولا أن الكاتب يلفت القارئ بهذا التركيب لما وجدت في النص غرابة.

وقد يبدو أن طه حسين يصرف همه — في ما يكتب — لتجويد العبارة وصياغتها على نحو متميز فريد، ويقيم علاقات مزاجية بين العبارات، الأمر الذي يولد في بعض الأحيان إيقاعاً جميلاً. وأنه ليفعل ذلك للتأثير. وقد أحسن الكاتب في تصوير حالة العوز والفاقة بأسلوب يبدو لك سهلاً ميسوراً. حتى ليخال كل واحد منا أنه قادر على أن يأتي بمثله، فإذا حاول خانه اللفظ وعسرت عليه العبارة. ويسمى هذا (السهل الممتنع). يريدون به الأسلوب الجميل المؤثر الذي يغري بالتقليد والمحاكاة ولكن يمتنع على المنشئ. إذ دون ذلك معاشرة طويلة للنصوص الأدبية الرفيعة.